

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

جاذبية الشواطئ المصرية — أميرة الأعاجيب

هازية الشواطئ المصرية

من الواضح أنى لا أستطيع الإجابة عن جميع أسئلة القراء ، ولو أنى استطعت ذلك لتحولت مقالاتى إلى موضوعات يغلب عليها الضجيج ، ومع ذلك فسأرد على الأستاذ أحمد فتحي القاضي ، لأنه احتكم إلى الشريعة فى وجوب رد التحية ، ولأن الرد عليه يوضح مشكلة تحتاج إلى توضيح والأستاذ غاضب على ما وقع منى فى الدعوة إلى الاصطيف ، ويقول إن كلامى فى التفتى بجاذبية الشواطئ لم يقع من أهل الصعيد موقع القبول ، ويصرح بأنه كان ينتظر أن أكون من الثائرين على حياة الشواطئ ، وقد صارت ملاعب للنساء العاريات ، كما قال ! وأقول إنى أحترم عواطف قرائى كل الاحترام ، ولكن مذهبي فى الأدب يأبى على أن أبحث عما يرضى قرائى ، فالغاية عندى هى الصدق فى التعبير عما يختلج فى صدرى ، ويطمئن إليه قلبي ، ولو كان فيه ما يغضب جميع القراء ... ألم أقل لكم إنى لست أسيراً للوطن ولا أجيراً للمجتمع ؟ وما ذا أصنع إذا كنت أؤمن بأن الشواطئ المصرية من أجل ما خلق الله ؟

— ماذا أصنع وأنا أعتقد أن زيارة الشواطئ المصرية تزيد فى قوة العقل والفكر والذوق ؟ وهل يرضينى أن أفعل ما يفعل الشيخ أبو الميرون وهو يتوهم أن زيارة الشواطئ تفسد الأخلاق ؟ إن الشيخ أبو الميرون يفرق فى كوز ماء فكيف نسمع كلامه فى البحر المحيط ؟ هل تعرفون أن الشيخ أبو الميرون لم ير الشواطئ مع أنه يعيش فى الإسكندرية منذ سنين ، ومع أنه أبو الميرون ؟ أن الوقت لأن نسمع هذا الرجل الطيب كلمة الحق . أن الوقت لأن نهاء عن النقص من حياة الشواطئ وهى نعمة عظيمة

من بها النعم الوهاب على أهل هذه البلاد هذا الرجل الطيب يتكلم باسم الدين ، فهل يستطيع أن يدلنى لأنى حكمة خلق الله تلك الشواطئ . بذلك الهاد الجليل ؟

هذا الرجل الطيب يعرف أن السباحة رياضة بدنية ، وهو مع ذلك يعجز عن السباحة فى الخيال نفرض أن حياة الشواطئ تفتن بعض الناس ، فهل يجب أن تقتلع الجذور من كل جمال يدعو إلى الفتون ؟

ما رأيته فى القمر وقد قيل إنه يهيج الصبوات ؟ أنجرّد حلة لإسقاط القمر من أفق السماء ؟ ما رأيته فى الأزهار وقد قيل إن عطرها يوقظ الشهوات ؟ أتبحث كل شجرة مزهرة لتنام عيون أبى الميرون ؟ الأذان تؤهل لسماع النائم ، فهل تعلم جميع الأذان ؟ والجسم السليم يؤهل للعاصى ، فهل نحول الخلائق إلى مهازيل ومعايل ؟

كل نعمة تمرّض صاحبها لمخاطب أخلاقية ، فهل نطلب زوال النعم لتستقيم الأخلاق ؟ إن أبا الميرون الواعظ يحتاج إلى واعظ ، فانا أخشى أن يغضب الله عليه إن استمرّ على هذا الأسلوب ، من الوعظ القلوب أفى الحق أن الشواطئ ليست إلا مباءة رجس وخلاعة ومجون ؟

أهذا كل ما يتصور الباكون على الأخلاق بدموع التماسيح ؟ أين إذا الشعور بجلال الله وجمال الوجود عند زيارة الشواطئ ؟ أنتم تدعوننا لزيارة المقابر لنتمتع ، ونحن ندعوكم لزيارة الشواطئ لتتهتدوا

ضميرى لا يسمح بأن أرائى قرائى ، فليسمعوا كلمة اللوم على غفلتهم عن الاصطيف ، وليسمعوا كلمة الصدق فى دعوتهم إلى تنضمّ هواء البحر من حين إلى حين

أما الخوف من الملوثة المنشور فوق الشواطئ فملاجه سهل ، وهل يصمب عليكم أن تدخلوا الشواطئ بلا عيون ؟ عندكم الأقمعة الواقية ، وقد وزعتها عليكم الدولة بالمجان منذ سنين ، فالبسوها عند زيارة الشواطئ ، لتكونوا فى أمان من سحر الجمال

ولكن تلك الأقمعة فيها تقوب تطل منها العيون ، فإذا تصبمون ؟

إلى تجسدت الإسكندرية أعظم المعجيد ، فهل زار الإسكندرية
لبرها بمني ؟ والمحامي أحمد القاضي آذاه كلامي عن الإسكندرية
فهل زارها ليسرف حنية كلامي ؟

زوروا الإسكندرية ، وقفوا لحظات أو ساعات بمحطة الرمل
كان أبعد سفر عند أهل الصعيد هو زيارة طنطا في مولد
السيد البدوي ، فهل أستطيع نقل أهل الصعيد إلى زيارة أبي العباس
المرسي ؟

إن كانت الدعوة إلى الحياة خلاعة ومجوناً فأنا راض بأن
أضاف إلى الخلقاء والمجانين ... وهل يؤذيني الظن الآثم ،
والجهل الطائش ؟

أنا أدعو إلى الحياة . أنا أدعو كل مصري إلى تذوق الجمال
بكل بقعة من بقاع هذا الوادي الجميل
في السماء رزقي ، فما خوفي من أهل الزور والبهتان ؟

المعجزة أو ما يجب

هي أن تكتب كلمة يفهمها جمهور القراء على الوجه الصحيح
تم تستغرق على محرر مجلة أسبوعية فيؤولها أسوأ تأويل ، وتكون
النتيجة أن يبنى عليها أحكاماً أو هي من بيوت العنكبوت ، وهو
يتوهم أنه غاية في اللذة والذكاء

ولهذه الأمجوبة قصة قريبة ، فقد كتبت كتبت في رثاء
تقلاً باشا سطوراً أبرزت بها خصائصه الذاتية ، الخصائص التي
جعلت حياته قدوة لرجال الأعمال ، وكان الروح الذي يسود
تلك السطور يفيض بمعاني العدل والإنصاف والإجلال ، وإن
خلا من النذب والطمع والصراخ ، على نحو ما صنع المحرر لتلك
المجلة الأسبوعية

كان الظن أن يفهم بهض خلق الله أنى أدنى تقلاً باشا
في مجلة الرسالة ، والرسالة تترجم من ترثيمهم ، فجوها يصلح
للتريجة ولا يصلح للبكاء ، وهل يحتاج تقلاً باشا إلى من يبيكه ؟
إنما يحتاج مثل هذا الرجل إلى من يظهر الشائيل التي وصلت به
إلى أن يكون في الطليمة بين رجال الصحافة في الشرق ، وليس
ذلك بالمجد الضئيل ، حتى نكمله بالتوقع والتفجع والأنين
ولكن ذلك المحرر رأى بنهذه الثاقب أن كلتي تحتجمل
التأويل ، فانهز الفرصة وتقرّب إلى أقرب صاحب « الأهرام »

الرأى أن تغلوا في صرافدكم ، وإن تركوا هواء البحر
ورمال الشواطئ لمقلاد الأجانب

ماذا يقول أحفادنا إذا قرأوا هذه الكلمة وعرفوا أن
الاسطيف كان معضلة تختلف فيها الآراء ؟

نر كانت الشواطئ المصرية بأيدي غير أيدنا لأصبحت
نراديس تسبر إليها نجوم السماء ، فإ يمكن أن تكون في الدنيا
شواطئ في سباحة الشواطئ المصرية ، ولا يمكن أن تنعم
بلاد بمثل ما ينعم به أهل هذه البلاد من شواطئ تفوق الإحصاء
وما ذا يرى الرأى في الشواطئ ؟

قالوا إنه يرى أجساماً عارية
الآن فهمت وفهمت ، فقد طال غرام الناس بالتحجب
والرياء ، لأن اعوجاجهم في ضمائرهم فرض عليهم أن يعيشوا
في أسر الآثواب

الكلمة الصريحة لا تصدر إلا عن صاحب الرأى الصريح
والجسم العاري لا يتخايل به غير صاحب الجسم الجميل
والمصريون فكروا في التزود من جميع الثقافات ، وأهملوا
الثقافة الجسدية ، فما الذي يمنع أن يكون في الشواطئ تذكير بما
للجسد من حقوق ؟

في رؤية اللاهين فوق رمال الشواطئ درس ينفع من تركوا
أجسادهم بلا تثقيب ، وهو درس يحتاج إليه الشيخ أبو الميرون
يجب أن نرى المرأة فوق الشواطئ لتتذكر جنائتنا على
أجسادنا بترك الرياضة البدنية !

هل تذكرن السيدة التي أمنت على القرار الخاص بتخصيص
أحد الشواطئ لاستحمام النساء ؟
هي سيدة لا تستطيع البروز بلباس البحر ولو كان جوازاً
إلى دار الخلود !

أكتب هذا الكلام وأنا أعرف أن أناساً من خلق الله
سيمترضون ، كما اعترض المحامي الذي يرأسني من منفلوط ؟
أكتب هذا الكلام وأنا أعرف أنه يصورني ظلماً بصورة
المجانين ، مع أني صادق كل الصدق فيما أقول ، فالشواطئ
المصرية نعمة من نعم الله ، وما يقع فيها من الشر لا يقاس إلى
ما تمسوق من منافع الخير الصحيح
لو شئت لمتبت على قرأني : فالشاعر أحمد المعجى يقول

ما عتبي عليك ، وقد نصحتك فلم تنصيح ، بعد أن رأيت
ما صنعت بنفسك ، يوم صورت شعورك بأول غارة جوية ؟
ما عتبي عليك ، وقد خاب أمني فيك ؟
لقد فكرت في أن أشرح لك العبارة التي عجز عن فهمها
فهمك ، ولكنني خفت أن تعجز عن فهمها بعد الشرح
وقد فكرت في النص على الجملة التي تنسج لأوهامك
وأحلامك ، ولكنني ترققت فلم أدل على جملة كان زادها ولن
يزال من عبث الأطفال
إن كلني في رثاء تقلا باشا كلمة حق ، لأنني رثيته باسم الحق ،
فأقيمة كلماتك في رثائه وأنت ترائيه في الحياة وبعد الممات لغايات ؟
عفا الله عنك يا فلاناً بالجملة الفلانية !
ونفعك الله بهذا الدرس البليغ !

زكي مبارك

الكأس المسمومة

للأستاذ سيد قطب

أفلاك أفلاك كالشيطان أفلاك أفلاك كالم يبرى جده فتشاك
أفلاك : إنك في نفسي وفي زمي سممت عيشي وأحلامي وأخيلتي
وفي خيالي أقمي ذات أشواك وأنت شيطانة في سميت أملاك
وعشت أروعك في قلبي وأنت بلا قلب يحس ويرعى كيف أروعك
من أنت ؟ ما أنت ؟ إلى حائر قلبي أنت أسطورة في سفر أفلاك ؟
أنت ساكنة راض حبياك أنسى الليالي التي قضيتها قلقاً
ولست لولا هواك المرء بالباكي أنسى الدموع التي أرسلتها غدقاً
من قبل أو بعد في دنياي لولاك وكبرياي التي ما كنت أخفضها
كأنهن نجوم بين أحلاك أنسى . وأذكر أحلامي وأخيلتي
ولسن غير أحابيل وأشواك وكلهن نسيج الوهم في خلدي
أفلاك ؟ ليت ! فاني لست أفلاك أنسى الليالي التي قضيتها قلقاً
أفلاك ؟ ليت ! فاني لست أفلاك وكبرياي التي ما كنت أخفضها
بين الهوى والقليل كالضحك الباكي أنسى . وأذكر أحلامي وأخيلتي
ولست أروى بكأس غير رياك وكلهن نسيج الوهم في خلدي
هذا الرحيق فاني لست بالشاكي هاتي لي السم صرفاً لا يمازجه
ولا أحطمها تحطيم سفاك ملئت كأسك لا ألتذ نشوتها

بالشفقة الكذوبة والود المدخول ، فزعم أني هجمت على ميت ،
ثم تطاول فقال كلاماً يدل على أدبه الجليل
وأردت أن أصحح خطأه فكتبت كلمة تصحيح ، ولكنه
مأند عناداً يقبل ممن يكون في مثل عقله فألقاها في سلة المهملات ،
لأنني هددته بنشر ما اعترض عليه ، عساني أجد الفرصة لتقويم
بعض المحررين

وأحب أن أعرف ما هي الناية من الإيقاع بين الناس ؟
قلت لذلك المحرر : إن لي أصدقاء في جريدة الأهرام على
رأسهم أنطون الجليل وكامل الشناوي وعوض جبريل ، فكيف
يسمى ذهنك أني أستطيع إيذاء أولئك الأصدقاء في مناسبة
لا يجوز فيها إيذاء الأعداء ؟

وقلت لذلك المحرر : إنني لا أهتم إلا على الأقوياء من الأحياء ،
فكيف أهتم على ميت لا أذكر أني عادته لحظة من زمان ؟
وقلت لذلك المحرر : إنني رثيت تقلا باشا وأنا أعتل ما عاني
في حياته الصحفية ، فما يجوز أن أقول فيه غير الجليل ، وإن
التبس بكلامي عليك

وقلت لذلك المحرر : إن لتقلا باشا أقارب من أصدقائي
في القاهرة وبيروت ، وأنا أحمز دائماً لأصدقائي ، فليس من
المقول أن أؤذيهم في مثل هذا المقام الحزين
وبرغم هذه الشروح أصراً المحرر على إغفال كلمة التصحيح ،
فما الأخلاق عندكم يا محرري بعض المجلات الأسبوعية ؟

ما الأخلاق عندكم وقد أعمل ذلك المحرر رجائي في أن
لا يدس بيني وبين ناس محزونين ؟ وما هذا الإفك في الإفساد
بين الناس ؟

أنا حاضر لخاصمة جريدة الأهرام ، ولكنني أرفض أن يقال
إنني أخاصم صاحبها في غداة الموت ، وليس لحي بقاء
وما قيمة التودد لجريدة الأهرام بمثل هذا الدس المقوت ؟
أبكون لجريدة الأهرام قوة سحرية تمنع العواقب المقدورة
على الدسائين ؟

القدرة الصحيحة هي قدرة الحق ، فما شأنك يا كاتباً أفلس
فلم يجد زاداً غير الوقعة بين كرام الرجال ؟ ما شأنك ولن
تتكون كاتباً ولو سودت وجهك بالمداد في ألوف من المسنين ؟